

## هدف الحياة وغايتها

الشيخ يوسف الفاتويدي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"الكلمة صار جسداً وحلّ فينا. وقد رأينا مجده، مجد وحيد جاء من الآب، مملوؤاً نعمة وحقاً" (يوحنا ١:١٤).  
"لأنه لاقَ بِدَاكِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِإِنْتَاءِ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يَكْمَلَ رُبُوبِيَّةَ خَلَاصِهِمْ بِالْآلَامِ." (عبرانيين ١٠:٢).

ولأن الصورة سقطت وتحطمت إلى أجزاء، فإن الشخص الوحيد الذي يمكنه التدخل وتجديدها لم يكن أحداً سوى الذي صنعها أولاً: "لأنه قال فكان. هو أمر فصار" (مزمور ٩:٣٣). "ولما تمّ ملء الزمان"، حان الوقت لإتمام المخطط الإلهي لخلاصنا من خلال الإرادة الإلهية، "أرسل الله ابنته مؤلوداً من امرأة، مؤلوداً تحت الثاموس، ليفتدي الذين تحت الثاموس، لتتألم الثبتي." (غلاطية ٤:٤-٥).

في اليوم الذي نحتفل فيه بمخطط الله لخلاص العالم، عيد الميلاد، زار الله شعبه و"الكلمة صار جسداً". لم تُسمع بشارة أفضل في تاريخ البشرية في أي مكان في العالم. الرسالة الأبدية، في السماء وعلى الأرض وحتى تحت الأرض هي ببساطة: "الكلمة صار إنساناً". في خليقة كانت عرضة للموت والفساد، ماذا عدا ذلك، أو بالأحرى من الذي يمكن توقعه لاستعادة التوازن، غير المهندس الأول؟ صرخت الخليقة كلها تحت ضغط الفساد: "أرنا وجهك فنخلص" (مزمور ٣:٨٠)؛ "لتتقدمنا مراحمك سريعاً، لأننا قد تذللنا جداً" (مزمور ٨:٧٩). وعندما غادر السماء، "صار الكلمة إنساناً". في هذه الكلمات الثلاث، يُحتضن الإنجيل بأكمله، البشرى السارة إلى السماء والأرض وإلى كل الخليقة. لأن الله الكلمة صار جسداً، فهذا يعني أنه اتحد أقنومياً بنا نحن البشر، الذين أصبحنا منذ تلك اللحظة أناساً "بجسد إلهي". إن جسد الكلمة البشري، في اتحاد سري ولكن حقيقي مع الله، يختبر ويشع كل الكمالات الإلهية. عندما أخذ الله الكلمة طبيعتنا البشرية، لم يصر جسداً فحسب، بل أيضاً روحاً، "روحاً إلهية".

لكن حتى بعد الاتحاد، يظل الاثنان غير مختلطين. يبقى الله هو الله والروح تبقى الروح، والفرق هو أنه لكون الروح قد تلقت الصفات الإلهية بالنعمة، فهي تشارك الآن في أسرار الله المبهجة. من خلال مشاركتها الأقتنومية، مع الولادة الذاتية والخلود الإلهيين، تصبح الروح عضواً فاعلاً في الحياة الأبدية والخلود في المسيح، كما في السمات الإلهية الأخرى، حيث تشارك في التدبير الإلهي، أي مخطط الله لخلاصنا.

بتجسده، أعطى الكلمة الإلهي صفات أخرى للطبيعة البشرية. لقد أعطى جزءاً من سماته الإلهية إلى كل كيان البشرية النفس-جسدي، وبهذه الطريقة، تحوّل كل شيء إلى "شبه الله"، كما كان قبل السقوط. الآن، بالفعل، لقد اكتسب الذين يعيشون في المسيح وعياً على شبه المسيح، وضميراً على شبه المسيح، وإرادة على شبه المسيح، وذاكرة على شبه المسيح، وبوجه عام، تطعّمت [كما يتمّ تطعيم الشجر: المترجم] طبيعتهم بأكملها بجسد المسيح المؤلّه وصاروا أشباه المسيح. بما أن الله الكلمة هو خالق كل الخليقة، فهو أيضاً أساس كل بُنيّة

العالم. بالخطيئة والشر، يحاول الجنس البشري إبعاد الله، الخالق، عن أسس الكون. لقد تجسّد ابن الله الوحيد وكلمته لكي يتواصل مع خليقته وبعيدها إلى خالقها الذي انسلخت عنه بالتعدي والسقوط. بالرغم من ذلك، فهو في نفس الوقت أساسها الأول. الابن " هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ غُذُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. (كولوسي ١: ١٥-١٦). في مكان آخر يقول التالي: " فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أُسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. " (١ كورنثوس ٣: ١١). إن الذين يبنون على صخرة الكون الثابتة التي لا تتزعزع هم حكماء وقد اكتسبت شخصيتهم كل صفات الله؛ لقد صاروا "على شبه الكلمة"، وسوف يصمدون أمام صدمات الهزّات هذا العالم وعدم يقينه. يوضح تجسد الله الكلمة أن الرشد هو جوهر طبيعتنا، وأساس كياننا وأساسه. في نموذجها الأول وفي طبيعتها، كل الخليقة، المادية وغير المادية، تأتي من الله الكلمة وهي للكلمة. فيه ومن خلاله يعود كل شيء إلى أصله الراشد ووجوده. وحيث أن مصدرنا هو من الله وبالله، فإن حياتنا وكياننا يعتمدان عليه كلياً. أليس هذا ما تعنيه كلمات ربنا: "بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يوحنا ٥: ١٥).

Elder Iosif Vatopaidinos. The aim and purpose of life. Pemptousia. 28 May 2022. <https://pemptousia.com/2022/05/the-aim-and-purpose-of-life/>.